

الكهنوت والخدمة

بقلم: ايلين قبطي صالح

إن الكنيسة الأرثوذكسية منذ أيامها الأولى، أي منذ مولدها في يوم العنصرة المجيد، أي يوم حلول الروح القدس على التلاميذ وعلى من كان معهم في عُلية صهيون 120 شخصاً، وبدء تاريخها الرسولي، قد اعترفت بثلاثة درجات في سرّ كهنوتها المقدس ألا وهي:

أولاً درجة الشموسية

ثانياً درجة القسوسية كهنة

ثالثاً درجة الأسقفية

إن هذه الدرجات الكهنوتية الثلاثة كانت ممارسة منذ أيام المسيحية الأولى حتى يومنا الحاضر وإلى الأبد. والمعلوم من الكتاب المقدس إن مؤسس الكهنوت هو الله نفسه. ففي العهد القديم، اختار الله هارون أخا موسى وأبناءه من قبيلة لاوي ليكونوا له عن جميع قبائل بني اسرائيل وذلك حسبما جاء في سفر الخروج الإصحاح الثامن والعشرين والعدد 1: "وقرب إليك هارون أخاك وبنيه معه من بين بني اسرائيل ليكون لي. هارون ناداب وابيهو العازار و إيثامار بني هارون" (خروج 1:28) ونقرأ كذلك ان الله قد أوصى موسى بضرورة صنع ألبسة مقدسة ليرتديها اخوه في اوقات الخدمة للمجد والبهاء2: " واصنع ثياباً مقدسة لهارون أخيك للمجد والبهاء" خروج 2:28).

ولدى مطالعتنا لأسفار الكتاب المقدس فإننا نجد أن هناك أشخاصاً أقدم من موسى وهارون قدموا ذبائح لله، مثل نوح وإيوب وإبراهيم . الذي كان اسمه قبلاً أبرام، وإسحق ويعقوب وكانت تقدماتهم فردية أي أنها لم تنتم إلى كهنوت منظم ملتزم كما هو حال كهنوت هارون اللاوي الذي اختاره الله ليكون له بالتزام هو وذريته ليقدم ذبائح عن خطاياهم الشخصية أولاً ومن ثم عن خطايا الشعب.

أما الكهنوت اللاوي الذي بدأ بهارون كما سبق ذكره إنما كان كهنوتاً محدوداً من حيث أن الكهنة انفسهم بشرٌ عاديون كانت وظيفتهم ان يحملوا تعليمات الله للشعب من جهة ومن ثمة مساعدة الشعب على عبادة الله علماً بأنهم . كبشر . لم تكن عندهم المؤهلات اللازمة لتمكنهم من مصالحة الناس مع الله. كما سنرى في كهنوت السيد المسيح الذي بذل ذاته كفارة عن خطايا العالم.

ومن الأهمية بمكان هنا أن نشير إلى وجود كاهن عظيم في العهد القديم واسمُه ملكي صادق ملك شاليم. هذا الكاهن يمثل كهنوتاً يختلف اختلافاً كلياً عن كهنوت هارون اللاوي. ويظهر ذكره في الإصحاح 14 ومن العدد 18 . 20 من سفر التكوين أي قبل تأسيس الكهنوت اللاوي بكثير. أما ولادته ووفاته فأمران غامضان وكذلك بالنسبة لحسبه ونسبه ولمولده ونهاية حياته على الأرض لم يذكر الكتاب المقدس شيئاً عن هذه كلها. وأن ما ذكر عنه هو انه إتقى بأبرام (إبراهيم) بعد خروجه الأخير منتصراً من معركة حرر فيها ابن أخيه لوطاً من سبي واسترد كل ما غنم من الأموال والممتلكات (18) "فأخرج ملكي صادق خبزاً وخمراً وكان كاهناً لله العليّ (19) وباركه وقال: مبارك أبرام من الله العلي مالك السماوات والأرض (20) ومبارك الله العلي الذي أسلم أعدائك في يدك. فأعطاه (أبرام) عُشراً من كل شيء. ولكن الشيء المهم هو ما جاء في سفر العبرانيين، الإصحاح السابع من عدد 3.1 وهو هكذا: "(1) لأن ملكي صادق هذا ملك ساليم كاهن الله العلي الذي استقبل ابراهيم راجعاً من كسرة الملوك وباركه (2) الذي قسم له ابراهيم عشراً من كل شيء. المترجم اسمه فهو ملك البر او ملك السلام بلا أب بلا أم بلا نسب لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة بل هو مشبه بابن الله هذا يبقى كاهناً إلى الأبد" ويعد أعلى رتبة من ابراهيم ونسله وحتماً أعلى من اللاويين".

ولإسمه معنى ملك البر أو ملك السلام. وكونه بلا أب وبلا أم يعني أنه بلا بدء حياة وبلا نهاية لحياته وهذا يجعل منه كاهناً إلى الأبد. وفي هذه الصفة والحال فإنه يُشبه بيسوع المسيح ابن الله رئيس كهنة على ربة ملكي صادق".

أما في العهد الجديد وفي سفر بولس الرسول إلى أهل رومية فنقرأ في العديدين الخامس عشر والسادس عشر: "ولكن بأكثر جسارة كتبتُ إليكم جزئياً أيها الإخوة كمذكر لكم بسبب النعمة

التي وهبت لي من الله حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم مباشرةً لإنجيل الله ككاهن ليكون قربان الأمم مقبولاً مقدساً بالروح القدس". (رومية 15: 15 ، 16).

وكذلك فقد جاء ما يلي في الأعداد الستة الأولى من الإصحاح الثالث من الرسالة إلى العبرانيين: "1. من ثم أيها الإخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية لاحظوا رسول اعترافنا ورئيس كهنته المسيح يسوع. 2. حال كونه أميناً للذي أقامه كما كان موسى أيضاً في كل بيته. 3. فإن هذا حُسِبَ أهلاً لمجدٍ أكثر من موسى بمقدار ما لباني البيت من كرامة أكثر من البيت. 4. لأن كل بيت بينه إنسان ما، ولكن باني الكل هو الله. 5. وموسى كان أميناً في كل بيته كخادم شهادة للعتيد أن يُتكلم به. وأما المسيح فكابن على بيته وبيته نحن إن تمسكنا بثقة الرجاء وافتخاره ثابتةً إلى النهاية."

وأول شيء نقرأه في العهد الجديد هو ما جاء في سفر أعمال الرسل عن سيامة سبع شمامسة (اصحاح 6 من عدد 1 إلى عدد 8) وهم استفانوس وفيليبس وبروخوخرس ونيكانور وتيمن وبرميناس ونيقولوس الذين أقاموهم أمام الرسل فصلوا ووضعوا عليهم الأيدي وكانت كلمة الله تنمو وصاروا يخدمون الموائد بينما الرسل تفرغوا للوعظ والصلاة.

وكان يعقوب أخو الرب أول أسقف على كنيسة اورشليم وكان الإضطهاد على أتباع المسيح يزداد يوماً بعد يوم. لاسيما بعد رجم استفانوس حتى الموت (وقصته في سفر أعمال اصحاح 6) فتشتت المؤمنون في المدن والقرى المجاورة. وكان شاوول الذي أصبح فيما بعد بولس رسول المسيح إلى الأمم، يلقي القبض على المسيحيين وزجهم في السجون إلى أن ظهر له الرب على طريق دمشق (سفر الأعمال اصحاح رقم 9) وجعل منه رسولاً عظيماً. وأخذت الكنيسة تنمو وتزداد حتى سافر الرسل إلى أماكن بعيدة.

وهكذا نجد أن الرسل عينوا أساقفة على الكنائس التي أوجدوها وإننا نجد تعاليم خاصة بالكهنوت وتقرأها في رسائل بولس الرسول إلى تلميذه تيموثاوس بحيث يفصل عمل كل من الشمامسة والقسوسة (المشايع) والأساقفة.

في أعمال الرسل (23:14) "وانتخبا لهم قسوساً في كل كنيسة ثم صلوا بأصوام واستودعاهم للرب الذي كانوا قد آمنوا به" والرسالة الأولى إلى تيموثاوس (14:4) " لا تهمل الموهبة التي

فيك المعطاه لك بالنبوة مع وضع أيدي المشيخة". وفي رسالة بطرس الأولى (2: 5،9) " كونوا أنتم أيضاً مبنين كحجارة حية بيتاً روحياً كهنوتاً مقدساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح. انكم ذرية مختارة وكهنوت ملكي وأمة مقدسة". وفي سفر الرؤية (10:5) "وجعل المسيح منا مملكة من الكهنة."

ويجب أن لا ننسى بأن الكنيسة نشطت كثيراً في محاربة الهرطقات التي ظهرت وما زالت تظهر بين الحين والآخر فالتأمت في مجامع محلية وفيما بعد في مجامع مسكونية نظمت فيها دستور الإيمان وأسرار الكنيسة السبعة. في العهد الجديد الرسل وخلفاء الرسل أخذوا صفات الكهنوت عن طريق وضع الأيدي لخدمة الشعب. ولكي تستمر رسالة السيد المسيح، كان ضرورياً ان يستمر كهنوته. وهذا ما آمنه هو بنفسه إذ قال لتلاميذه الأحد عشر في العشاء السري "اصنعوا هذا لذكري" يعني إعادة عمل. فرسالة الكاهن ان يكون حامل البشري الذي يسوع قد تجسد من أجلها.